رواية فيينا ٦٠ ليوسف إدريس

"دراسة نقدية"

إعداد

أماني متولي عبده حامد

معيدة بقسم اللغة العربية بكلية الآداب - جامعة أسوان

تمهيد:

بدأ الصراع بين الشرق والغرب مع الحملة الفرنسية على مصر عام ١٧٩٨م ، وما زال مستمرًا حتى يومنا هذا ، وهناك من رأى فيه شرًا مستطيرًا ، ومن رأى فيه خيرًا وتنويرًا ؛ حيث يرى **الفريق الأول** أن أثر الحملة لم يكن في صالح العرب ولا المصريين ؛ ذلك لأن ما تركه الغرب للعالم العربي ، وما ورَّثه الغرب ليس الحضارة والثقافة والصحافة والطباعة ... بل تُمَثِّل الإرث الغربي للعرب في الرأسمالية ، وتحويل الفلاحين لعمال ، وفي تفاقم الصراعات الطبقية ... ونتج عن ذلك اندماج الأمة في النظام الرأسمالي الذي حوَّل فلاحيها إلى عمال ، وساند عملية تَحَوُّل الطبقة التجارية الحاكمة إلى طبقة برجوازية، وسبَّب التداخل نتائج وخيمة ؛ إذ تم فرض هذا النظام وما يصاحبه من عداءات طبقية على العالم العربي(١) .

أما **الفريق الثاني** الذين رأوا في حضارة الغرب خيرًا وتنويرًا فهم كثيرون ، يأتي " جورج طرابيشي " في مقدمتهم ؛ إذ هو في حالة انبهار بكل ما له صلة بحضارة الغرب ، وهو في سبيل ذلك ينعت الشرق القائم على المجتمع الأبوي بالتخلف والانحدار والادعاء ، والخصاء ، والانحدار ، فيقول: " في مجتمع أبوي شرقي ، مُتَخَلِّف متأخر ، مشحون حتى النخاع بأيديولوجية طهرانية، متزمتة وحنبلية ، يغدو مفهوم الرجولة والأنوثة مفهومًا موجهًا لا للعلاقات بين الرجل والمرأة فحسب ، بل أيضًا للعلاقات بين الإنسان والعالم " (٢) .

وبين المتوحدين بالشرق والمتوحدين بالغرب توجد **طائفة ثالثة** تسعى للوفاق بين الشرق والغرب ، وذلك بأن تنهل من الميزات الروحية التي يثرى بها

(١) ينظر: " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص ٢٤٨، ٢٤٩ ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م [د.ط] .

(٢) " شرق وغرب رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية) ، جورج طرابيشي ، ص٥ ، ط٤، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٧م .

تراث الشرق ، وفي الوقت نفسه تتطلع بشوقٍ وإعجاب إلى المنجزات المادية التي تحظى بها حضارة الغرب .

وقد عُرفت هذه الطائفة باسم " **التوفيقيين** " ، وقد بدأت في أواخر القرن التاسع عشر ، وحمل لواءها كل من " رفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك ، والشيخ محمد عبده ، وأحمد لطفي السيد ، وقاسم أمين ... وبين أعطاف هذه الطائفة نمت مصطلحات مثل: الأصالة والمعاصرة ، القديم والجديد ، لقاء الحضارات، تفاعل الحضارات ، حضارة الشرق وحضارة الغرب (١) .

وإذا كانت العلاقات الحضارية علاقات حيوية نشطة متحركة باستمرار ، تتم بطرق وأساليب ووسائل مختلفة ، كالحروب والتجارة ، وعناصر الثقافة المتنوعة ... فقد كان لحملة نابليون دورها المهم في تنبيه الوعي العربي إلى حقيقة مكانته ، وذلك بوضعه المحدَّد إزاء " الآخر " ؛ فمعرفة الأنا بنفسها لا تكتمل إلا من خلال آخر يضعها في مواجهة حضورها الذاتي (٢) .

والواقع أن هذه الحملة بما تحمله من هذا أو ذاك ، فقد ربطت إلى حد كبير بين الشرق والغرب ، وكانت عاملًا مباشرًا من عوامل التلاقي بينهما ، ومن نتائجها تعريف الأنا الشرقية بنفسها من خلال وضعها في مواجهة حضورها الذاتي ... ودعوتها إلى ضرورة التغيير من خلال رؤية الأنا في مرآة الآخر؛ أي بالتعرف على حضارة الغرب الذي تَقَدَّمَ وانتَصَر ، وصَنَعَ نموذجًا حضاريًا متفوقًا (٣) .

---

(١) ينظر: " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٢٦٠،٢٦١ .

(٢) ينظر: " البطل المغترب في الرواية العربية " ، مصطفى فاسي ، ص١١،١٢ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٦م .

(٣) ينظر: " الغرب في الرواية العربية الحديثة " ، جمال مباركي ، ص ٦١ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .

" واتخذت قضية الصراع بين الشرق والغرب مسميات عدة ؛ منها: الصراع الحضاري ، لقاء الحضارات ، حوار الحضارات ، الصراع بين الشرق والغرب ، احتكاك الحضارات ، صدام الحضارات ، حضارة الشرق وحضارة الغرب ، نحن والآخر ، الذات والآخر" (١) .

ونظرًا لأهمية هذه القضية ، وتعدد وجهات النظر حولها ؛ فقد تناولها الأدب العربي الحديث بشكل كبير ؛ حيث تُعَدّ قضية الصراع بين الشرق والغرب من أهم القضايا الأدبية التي تناولها الروائيون ، وحظي الأدب العربي بالكثير من الأعمال الإبداعية والدراسات التطبيقية حول هذه القضية ، وهذه القضية وإن كانت جذورها قديمة إلا أنها برزت بوضوح في العصر الحديث .

فقضية " الشرق والغرب " من القضايا الكبرى التي ناقشها رواد الإصلاح في النهضة العربية الحديثة: خطباء ، وكُتَّاب ، وشعراء ، وهي القضية التي عَـــنِيَت بها كتب الأدب بمختلف أجناسه وأشكاله ... وقد تجلى الشرق والغرب في الرواية لا كمجرد مكانين جغرافيين ، بل بوصفهما فضاءً حضاريًا يحيل إلى (التقدم والتأخر) و(القديم والحديث) و(الأصالة والمعاصرة) ، أو إلى (الروح والمادة) و(العاطفة والعقل) و(العلم والدين) (٢) .

ومن أبرز الدراسات التي تناولت موضوع الصراع الحضاري بين الشرق والغرب ما يوجد عند" عبد العزيز المقالح " في كتابه " أصوات من الزمن الجديد " ، وأيضًا ما يوجد في كتاب " الرؤيا المقيدة دراسات في التفسير الحضاري للأدب " لشكري عياد ، وكذلك عند يوسف الشاروني في كتابه " القصة والمجتمع " ، ودراسة " شرق وغرب رجولة وأنوثة " لجورج طرابيشي .

---

(١) " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٢٤٦ .

(٢) ينظر: " الغرب في الرواية العربية الحديثة " ، جمال مباركي ، ص١ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .

وبما أنّ لهذه الظاهرة جذورًا في الماضي ؛ فقد تجلَّت في أعمال أدبية سبقت ظهور الرواية العربية على نحو ما نجده في " حديث عيسى بن هشام " لمحمد المويلحي ، وفي " تخليص الإبريز في تلخيص باريز " لرفاعة الطهطاوي ، وأيضًا " عَلَم الدين " لعلي مبارك [١] .

وقد جاءت هذه الأعمال بوصفها نوعًا أدبيًا تتوافر فيه مواصفات فنية يُعرَف بها من بين سائر الأجناس الأدبية ، وكان لها السبق في الاهتمام بهذه القضية دونًا عن بقية الأجناس الأخرى .ولم يقتصر هذا الاتجاه على أدباء مصر ؛ فمن السودان الطيب صالح في " موسم الهجرة إلى الشمال " ، ومن لبنان الدكتور سهيل إدريس في روايته " الحي اللاتيني " ، ومن الجزائر رواية " ما لا تذروه الرياح " لمحمد عرعار ، ومن تونس رواية " جولة حول حانات البحر الأبيض المتوسط " لعلي الدوعاجي [٢] .

أمَّا في مصر فهناك مجموعة من الروايات التي تدخل في هذا الاتجاه ، على سبيل المثال رواية " عصفور من الشرق " لتوفيق الحكيم ، وروايتي " أديب ، والأيام " للدكتور طه حسين ، و" قنديل أم هاشم " ليحيي حقي ، ورواية " الخيط الأبيض " لمحمد مفيد الشوباشي ، و" الثلاثية " لنجيب محفوظ .

أولًا- المرأة نموذجًا للصراع بين الشرق والغرب:

نظرًا لاحتكاك الروائي المصري بالحضارة الغربية وثقافة الآخر ؛ أدى ذلك إلى انفتاح الوعي عند الأدباء في عالم الرواية ... فما سُمِّي عادة بالرحلة نحو الآخر ، قد كان في الحقيقة رحلة نحو الذات عند الآخر... ؛ فالروائي العربي في الروايات التي تتخذ الغرب فضاءً لها ، لا يمسُّ الغرب إلا في جانبه المتعلق

(١) ينظر: " الصراع بين الشرق والغرب في الرواية المصرية الحديثة " ، حسن بن مالك ، ص٦،٧ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩ــ١٩٩٠م .

(٢) ينظر: " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٢٤٧ .

بتعميق الشخصية " البطل الشرقي " ، ومن ثم يصير الغرب مرآة تعكس الصورة الحقيقية لهذا البطل ، أكثر من كونه مقصودًا بأن يُـــــصَوِّر ذاته (١) .

أما يوسف إدريس فيُعَدّ مِن جيل الرواد الذين أبرزوا قضية صراع الحضارات بين الشرق والغرب من خلال حضارة الآخر ؛ حيث قام بتجسيدها داخل الشرق في ظل فترة الانتقال التي مرت بها مصر من مرحلة فكرية إلى أخرى .

وقد ظهر لديه البعد الفكري ، والسياسي ، والعاطفي في معظم الروايات التي عالجت القضية ، مُركِّزًا على البعد العاطفي وبخاصة ظاهرة الجنس منه ؛ لإبراز آرائه السياسية والاجتماعية والحضارية ، وتشكيل الواقع النفسي لأبطاله ، وتحديد نهايتهم طبقًا لتناقضات الواقع (٢) .

حيث مثلت الروايات التي قدَّمها حول هذا الغرض الأعمال ذات الكلمات الفاعلة التي تثير قضايا فكرية تشغل حيزًا في عقول الناس ووجدانهم ، على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والفكري؛ فهي تدور حول قضية الصراع بين الشرق والغرب ، صراع الحضارات وصراع القيم (٣) .

وقد عرض إدريس في رواياته صورة المرأة الغربية – على سبيل المثال – كالتالي:

---

(١) ينظر: " البطل المغترب في الرواية العربية " ، مصطفى فاسي ، ص٤١ .

(٢) ينظر: " شخصية البطل في روايات يوسف إدريس دراسة أدبية فنية " ، عبد المنعم أبو زيد عبد المنعم ، ص١٤٢:١٤٦ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥م .

(٣) ينظر : " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٣٢٦.

- في رواية " **فيينا ٦٠** " : يُصَوِّر إدريس من خلالها صورة المرأة الغربية ، ويعقد مقارنة بين الشرق المصري ، والغرب الأوروبي ، بين شخصيتي مصطفى ، والمرأة النمساوية .

- وفي رواية " **البيضاء** ": يَعرِض إدريس من خلالها الطبيب المصري المناضل السياسي الدكتور (يحيى) وعلاقته بنموذجين متقابلين للمرأة الأوروبية ، الأولى بطلة الرواية الفتاة اليونانية إكسانتي (سانتي) ، والثانية الفرنسية (لورا) .

وتُعَدّ الروايتان من روايات المرآة العاكسة أو الغرب الذي يعكس صورة الذات الشرقية ، ومن روايات اللقاء بين الرجل الشرقي والمرأة الغربية ، هذا اللقاء الذي يتجسد في نظرة الشرقي من الغرب المتمثل في المرأة الغربية .

وعن دور المرأة في العمل الروائي فتُعَدّ المرأة من أهم شخصيات العمل الروائي إن لم تكن أهمها على الإطلاق ؛ فإذا كانت الرواية تمتزج أحداثها من خلال علاقات عنصري الوجود البشري ؛ فالذي لا شك فيه أنَّ صورة المرأة أكثر استقطابًا لحركة الواقع ، وأغنى دلالة لتحديد موقف الأديب منه [(١)] .

وللمرأة دور كبير في المجتمع ؛ فهي تُسهِم في عملية التقدم والتحرر ؛ لذلك اهتم بها الشعراء والروائيون ... حيث إن حركة المرأة ترتبط بحركة المجتمع من جهة ، ومن جهة أخرى تمثل دلالة ورمزًا ثريًا موحيًا عن الوطن ... بالإضافة إلى أن صورة المرأة كانت تتعدى وجودها الفردي لتُعبِّر عن حقائق أبعد من هذا الوجود ، كأن تكون رمزًا للنوع الأنثوي ، أو لشريحة اجتماعية خاصة ؛ ذلك لأن

---

(١) " رؤية المكان في روايات يوسف السباعي دراسة أدبية فنية " ، رضا السيد العشماوي ، ص٢٧٢ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، مصر ، ٢٠١٠م .

الروائي يسعى إلى إظهار المرأة كإنسان حر في بناء الوطن على قدم المساواة مع الرجل (١) .

ولذلك جاءت روايات يوسف إدريس ؛ لكي تدافع عن المرأة العربية بوجه خاص ، وتحاول أن تحدِّد شخصيتها وخصائصها العامة ؛ بهدف رفع مستواها ، وتحقيق استقلاليتها وذاتها ، والتعبير عن المجتمع من خلال فئة إنسانية كادحة .

وقد قام إدريس بوصف المرأة في لقاء حواري قائلًا: المرأة – يا عزيزي- أعمق وأكبر وأروع من هذه التعبيرات! المرأة أصل الحياة ، وأصل الكون ، المرأة هي مصنع الحياة ، وهي الوحيدة القادرة على خلق الحياة ، هي وسيلة الخالق سبحانه وتعالى لخلق الحياة ، وهي كتاب عميق لم نقرأ منه سوى المقدمة، وموسوعة لا تزال غابة بِكر لم تُكتشف بعد ... والمرأة هي الحياة (٢) .

لذلك تُمَثِّل المرأة في روايات يوسف إدريس دورًا حيويًا ، ومكانة رئيسية ؛ من خلال دورها وإسهامها في المجتمع ؛ وقد احتلت مساحة كبيرة في أعماله الأدبية ؛ لكونها تُشَكِّل دعامة أساسية في الريف والمدينة ، وهو الركن الرئيسي الذي شغل اهتمام إدريس وتفكيره ؛ فجعلها في مكانة ملحوظة داخل شخصيات رواياته ؛ ولم يجعلها على صورة نموذجية ثابتة ؛ بل كانت متغيرة ومختلفة في كل رواية ؛ بهدف توضيح مكانة المرأة ووظيفتها داخل المجتمع ، وتصدرت على مستوى الشكل العام للروايات (٣) .

---

(١) ينظر: " المرأة في روايات سحر خليفة " ، غدير رضوان طوطح ، ص١٧،١٨ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بيرزيت ، فلسطين ، ٢٠٠٦.

(٢) ينظر: " ذكريات يوسف إدريس " ، رشاد كامل ، ص١٠٥،١٠٦، ط١، المركز المصري العربي للنشر، القاهرة ، ١٩٩١م .

(٣) ينظر : " يوسف إدريس ... الصراع والمواجهة " ، حسين عيد ، ص٩٥، الهيئة العامة للثقافة ، القاهرة ، [د.ط.ت] .

وفي الوقت نفسه اختلفت صورة المرأة عند إدريس من بيئة لأخرى ؛ وفق الأعراف والمبادئ والقيم التي يُقِرِّها كل مجتمع ؛ فالمرأة الريفية في الصعيد تختلف عن المرأة العاملة في المدينة ، وكلتاهما تختلفان عن المرأة الغربية .

وقد نالت المرأة اهتمامًا كبيرًا من الكُتّاب باعتبارها نصف المجتمع ، فاختلفت نظرتهم إليها ؛ فمنهم من جعلها رمزًا للأمومة والعطاء ، ومنهم من جسّدها للجنس والرغبة ، وقد كانت " المرأة " من أكثر القضايا التي اعتنى بها يوسف إدريس داخل مجموعة من رواياته ، مع الاختلاف الشكلي الذي توجد عليه في الرواية ... وقسّم هذه الروايات تقسيمًا ينظر للمرأة نظرة غربية في شكل جديد على أساس المقارنة الخارجية ؛ حيث صوَّر يوسف إدريس مجموعة من نماذج شخصية المرأة داخل رواياته متمثلة في (نموذج المرأة الغربية ، نموذج المرأة الأجنبية ، نموذج المرأة المنحرفة ، نموذج المرأة المتحررة ، نموذج المرأة الساقطة) .

وبذلك " كانت المرأة المفتاح الذي استخدمه يوسف إدريس ليعقد تلك المقارنات بين صورة الذات وصورة الآخر ، كما أنها هي نفسها التي ارتكز عليها في نقده للمجتمعات الشرقية وحتى للمجتمعات الغربية " [(١)].

قام يوسف إدريس في منهجه على المقارنة في أعماله الأدبية ورواياته بين (الأنا والآخر ، الذات والآخر) التي تقارن بين ما يحدث داخل المجتمع الشرقي المصري ، وما يقع في المجتمعات الخارجية من (أمريكا ، وأوروبا) .

ثانيًا– اللقاء بين مصطفي والسيدة الغربية " بين الشرق والغرب " :

تُعَدَّ رواية " فيينا ٦٠ " من أكثر أعمال يوسف إدريس تمثيلًا لصورة الذات الداخلية ، وتوضيحًا لقضية الصراع الحضاري بين الشرق العربي والغرب

---

(١) " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٨٥ . ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ٢٠٠٨م .

الأوروبي ؛ حيث وضَّح من خلالها المقارنة القائمة بين (الذات العربية) و(الآخر الأوروبي) ، والتناقض والتضاد بين (الشرق) و(الغرب) في مجموعة من العادات والتقاليد ، والفكر والسلوك ، والأفكار والخصائص والتوجهات ، والانفعالات والأحداث ، وذلك من خلال اللقاء التي عقده إدريس بين مصطفى والسيدة الغربية .

أمّا **مصطفى** فهو المحور الرئيسي للرواية ، والضمير الذي يمثل صورة السطح التي رسمها إدريس ؛ ليحدد ملامح الشخصية التي انتشرت في المجتمع المصري عقب الثورة ، ويتابع في وصف الخصائص العامة لتلك الصورة التي تتمثل في " الانبهار بالسلوك الغربي ، والرغبة في مجاراته والتوحد معه ،... ويُظهِر الكاتب صورة توضح علاقات الأفراد في المجتمع العربي مع السلطة ؛ فمصطفى (درش) يميل إلى السيطرة على مرؤوسيه ولكنه في الوقت نفسه يميل للخضوع إلى الرؤساء "(١) .

مصطفى (درش) بطل الرواية ، الرجل الشرقي ، دلالة اسمه تتوافق مع الطبيعة المصرية المرحة بملامحها وسماتها ، فهو من الاصطفاء والاختيار دونًا عن غيره لهذه المهمة . يقوم إدريس بعرض الشخصية المصرية التي تمثل المشرق العربي في أفكاره ، وهو مصطف (درش) موظف حكومي له زوجة تُسمى أنيسة ، يأتي اسمها من الأنس والمحبة ، وله طفلة يحبهما ، أُرسِل ضمن وفد في مهمة رسمية إلى أوروبا بضعة أيام وهو مولع بالنساء ، وصاحب خبرة ومغامرات في ذلك ، لكنها محصورة في نساء بلده ، جاء إلى أوروبا في مهمة رسمية ، إلا أنه لم يكن لديه سوى مأرب واحد ، وهو أن يجرب المرأة الأوروبية ... وأن يغزو أوروبا المرأة .

وهنا يقوم الكاتب بعرض الغرض الرئيسي من رحلة البطل إلى أوروبا ؛ إذ هو هدف داخلي دفين داخل الشخصية المصرية ، ذهب ليستكشفه ويتحقق من

---

(١) ينظر: " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٨٦،٨٧ .

مصداقيته ، يقوم مصطفى بانتهاز فرصة الموافقة واتفاقية التبادل التجاري بين مصر وهولندا ، ولكنه لم يذهب إلى أوروبا لمهمة رسمية ولا حتى للنزهة ، ولكنه ذهب لهدف واحد وهو المرأة الأوروبية .

ذهب " درش" الشخصية المصرية لأوروبا وهو على علم بمباديء الحضارة المصرية وعاداتها وتقاليدها ، ولكن ما كان يشغل فكره هو تَعَرُّف ثقافة الآخر الغربي وبخاصة المرأة النمساوية ؛ فالشخصية الأوروبية تطمح للتعرف على الشرق بسحره وجماله ، أما درش كان فيكتفي بجانب واحد دونًا عن باقي الجوانب الأخرى وهو الجانب الأنثوي ، وأنّ أوروبا عنده متمثلة في معانٍ وأفكار جنسية .

مصطفى في الرواية [١] **محترم جدًا في مظهره ، طويل ، أنيق ، حاد ، وقور ، يحدثك بصوت الواثق من نفسه ، يستعمل دائمًا كلمة يا حبيبي حتى إذا حادث الغرباء ... هو مصري حِرِك ، لا يترك فرصة للقفش والتنكيت إلا وأنتهزها ، وإن أراد إظهار الألمعية والحنكة يقول: ما تبقاش كروديا امال ... وإن غضب يقول: وديني أحط صوابعي في عينيك** . وأيضًا هو " **مواطن مصري قمحي اللون حليق اللحية والشارب ، له شامة سوداء كبيرة إلى جانب فمه ، ومع هذا فشعره أكرت أسود ، جاد وقور يحدثك بصوت الواثق من نفسه** " . كما أنه " **مواطن مصري خريج كلية التجارة وموظف في وزارة التجارة ، عمل كل الحيل والألاعيب ليسافر للغرب ، وظل ستة أشهر حتى أتته الفرصة ، وسافر كما يسافر الناس إلى أوروبا لمهمة التبادل التجاري مع هولندا اسمًا ، والتفرج والفسحة في حقيقة الأمر** " .

فشخصية البطل (درش) ترتكز على معطيات نفسية ... ؛ فصورة الغرب في مخيلته أن أي امرأة يمكن أن ترتمي في أحضانه طالما ترى ملامحه الشرقية

---

(١) " ينظر : " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص٦٠،٦١ ، ط٢ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٠م .

... والمرأة الغربية تحلم بالشرقي بوصفه فارس أحلام مغيب (١) . فهي الشخصية التي أفرزتها تراكُمات اقتصادية واجتماعية وسياسية ، تعود إلى الاستعمار الغربي للبلاد ، تلك الظروف التي حاولت تغيير الشخصية المصرية ، وتحولت بها عن جذورها القوية في الأخلاق والمعاملات (٢) .

كانت هوايته الرئيسية هي (النساء) وهي هواية سرية يزاولها في سرية تامة ويمارسها في تَفَنُنْ وحِذق ... حريص على مكانته الهامة في بلده ومصلحته وبين زملائه ... فقد تخصص درش في نوع غريب على هذا كله ألا وهو النوع الخام ، مزاجه كله أن يظفر بامرأة يكون هو أول ظافر بها؛ فيبدأ في استدراجها فهو الصائد الماهر الذي يتمتع بخبرة وتقنية في هذه العملية وذلك من كثرة تجاربه في هذا المجال (٣) .

لذلك أخذ درش بنصيحة بعض الشرقيين الذين نصحوه قائلين: " إذا أردت النساء يا أخ فاذهب إلى فيينا ... فهي ضالته المنشودة ، تلك التي كان يسمع أسمهان تغني لها: ليالي الأنس في فيينا ، خدعوه قائلين: يكفي أن تمشي في الشارع بشعرك الأكرت ولونك الأسمر حتى تجد النساء يتساقطن تحت قدميك. فبعد إنهاء المصلحة الرسمية في هولندا ، اتجه لعاصمة الجمال فيينا ليبحث عن ضالته المنشودة الحقيقية وهي (المرأة) ، يبحث عن امرأة يجرب طعمها الغربي ، ولم يكن طموحه وهدفه جنسي من الدرجة الأولى بقدر ما كان يهدُف إلى التطلع إلى حضارة الآخر الأوروبي ومعرفته معرفة تامة .

فسفر مصطفى (درش) إلى فيينا عاصمة النمسا ، كان لبهدفٍ واحد فقط ؛ وهو النساء ، رغبته الدفينة كانت أن يُجَرِّب تلك المرأة الأوروبية ذات الشخصية

(١) ينظر: " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٩٣،٩٤.
(٢) ينظر : " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٣٣٠.

(٣) ينظر : " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص٦٢ ، ط٢ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٠م .

... ورغم أنه تَعَرّف على الكثيرات من النمساويات ، إلا أن الظروف كانت ضده دائمًا ولم تحنِ له فُرصة حقيقية ، حتى تَتَبَّع إحداهُن بإصرار في الشارع وفي المترو ، وبدأت تنمو العلاقة بينهما ، ودعته إلى منزلها في غياب زوجِها (١) .

لم يأت هذا الأمر بسرعة وسهولة كما كان يتوقع ؛ فهو مازال يتجول في مدينة فيينا في ميدانها الوحيد الذي يعرف منه الطريق للفندق ، ويجرب كل الوسائل التي أتقنها في بلده للإيقاع بالمرأة ، يقف أمام واجهات المحلات .

وجد درش نفسه في طرف الميدان الآخر، ولمح من بعيد فتاة تقف بمفردها فاقترب منها وحدثها (فهي فتاة لا تتعدى السادسة عشرة) وحلوة وملامحها مسمسمة وجدها تنتظر صديقها ... فأراد الإيقاع بها (أنا حاضر وصديقك غائب ... دعينا من الغائب واكتفي بالحاضر) . ولكن شعر بالخيبة .

تتمثل أزمة درش في صعوبة العثور على هدفه بسرعة في وقت زمني محدد ؛ فهو خائف من أن يتقدم الوقت ويفرُغ الميدان من النساء كما حدث في الليلتين السابقتين ، والمشكلة الحقيقية تتمثل في المكان الذي يصحبها فيه بعد العثور عليها ... وذلك لأنه غريب على المكان لا يمتلك مأوى إلا الفندق، ولا يستطيع أن يذهب لبيتها أو يذهبا سويًا إلى فندق أخر؛ لأن هذا يستلزم أن تكون معرفته بها قد توثقت لدرجة كبيرة ، وهو يريد أن يَحدُث هذا كله في ليلة واحدة ، بل جزء صغير من ليلة ، والأهم من هذا أنه لا يريد واحدة من فتيات الأزِقة أو الشوارع ، ولكنه يريد سيدة أوروبية أصيلة ذات شخصية ، تريده لذاته دون نقوده فقط ، وتعطيه نفسها بِمُطلق إرادتها .

ثالثًا- تَحَطُّم الصورة النمطية عن الآخر:

إن الصراع الذي كان يدور في نفس مصطفى هو صراع أخلاقي من الدرجة الأولى ؛ فهو يعلم أنه يقوم بعمل لا أخلاقي ، غير أنه يستسلم أمام رغباته

---

(١) ينظر : " يوسف إدريس ... الصراع والمواجهة " ، حسين عيد ، ص١٧٤،١٧٥ .

الجنسية ؛ فالحرية والمساواة وفقًا لمفاهيم درش كلها أشياء تختزلها العلاقة الجنسية (١) .

وإذا سأل سائل: أين أموال الدولة ؟ وأين الأمانة ؟ وكيف لمصطفى أن يترك مهمته الرسمية باحثًا عن نوازعه الشخصية ، يُجيب الدكتور " شاكر عبد الحميد " في دراسته " صورة الذات وصورة الآخر محاولة أولية لفهم الشخصية المصرية " ــ عن هذه الأسئلة فيُرجِع ذلك لأحد الخصائص التي تتسم بها صورة السطح الخاصة بالشخصية المصرية المُعاصرة ؛ فشخصية مصطفى تتعامل مع الأمور بالمنطق اللحظي المؤقت الذي تغلبه الأنانية والمنطق الاستهلاكي ، مؤثرة المصلحة الشخصية التي تأتي في بؤرة اهتمامها على حساب المصلحة العامة (٢).

أخيرًا وجد درش ضالته المنشودة في ليلته الأخيرة في ميدان المدينة بعد عدة محاولات فاشلة ، تلك المرأة الحُرة التي يرى من خلالها أوروبا ؛ لم تكن باهرة الجمال الذي يتخيله ولكنها على الأقل وسيمة ، كانت طويلة تدانيه تقريبًا في الطول ، وترتدي مِعطفًا صوف بيج ، وشعرها طويل وغزير، وكان وجهها طيبًا وأنيقًا ، ولا تضع غير الروج .

ولم تكن تبتسم ، وكذلك لم يكن بوجهها أي عبوس ، امرأة تَصلُح أن تكون ربَة بيت ممتازة أو طبيبة أو عازفة في أوركسترا من الدرجة الثانية ، وهي امرأة متزوجة ولها ولدان وبنت ، تعمل سكرتيرة مدير إحدى الشركات الكبرى التي تُـــــنتِج الأدوات الكهربائية والإلكترونية .

ذهب درش ليقضي ليلته مع المرأة الأوروبية .. ودخل بيتها الذي وجده لا يختلف كثيرًا عن بيته في الشرق؛**فلم تكن الصالة واسعة .. وكانت صغيرة محندقة ، كل مكان فيها مستغل ، ولم يكن الأثاث بجديد .. وغرفة النوم فيها**

---

(١) ينظر : " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٩٤ .

(٢) ينظر : " صورة الذات وصورة الآخر في آخر أعمال يحيى الطاهر عبد الله الروائية " ، شاكر عبد الحميد ، ص١٨ ، دار الثقافة الجديدة ، مصر ، ١٩٨٦م [د.ط] .

السرير لا يسع شخصًا أو شخصين وإنما هو سرير صنع ليتسع شخصًا ونصف شخص.. وبجوار السرير منضدة مزدحمة بآلاف الأشياء والأدوات.. والبيت كله رائحة خاصة،رائحة بيت العائلة الصغيرة التي لا يدركها إلا القادم الغريب (١).

لذلك يشتد إحساس درش بالصدمة عندما يدخل شقة المرأة الأوروبية ، ويكتشف أن هناك تشابهًا بينها وبين شقق القاهرة ، وأكثر ما يصدمه هو إدراكه أن الآخر عادي لا غرابة فيه ، إنه في النهاية يضاهيه ، ولا يمت بصلة إلى الصورة المضخمة التي رسمها له ذهنه ، وهذه كانت أول الصدمات بالنسبة له " **صدمة المكان** " .

بالفعل صدمة ؛ لأنه كان يرى أنّ " **النساء في الشرق جـــثث لا نستطيع أن ننالهن إلا رغمًا عنهن، حتى لو كن يذبن غرامًا فيك . لا يرضيهن إلا أن يؤخذن عـــنوة ، ولكن المرأة هنا يا سلام تقبل المرأة فتقبلك ، تأخذها فتأخذك ، هذا هو الشغل المضبوط ، هـــذه هي المساواة الحقيقية بين الرجل والمرأة** " (٢) .

وهنا يمزج يوسف إدريس من خلال طريقة عرضه بين العامية والفصحى لتنتج لغة تشعرك بالحميمية والسهولة (**الصالة محندقة**) (٣) ... ويقتبس من المثل الشعبي في النص من خلال وصف درش وهو يحاور نفسه قائلًا: **(وإيه يعني ؟ البلد اللي ما حد يعرفك فيها ، اعمل اللي تعمله فيها)** (٤).

وإكمالًا لهذه الصدمة **دخل درش الحمام ووجده كحمامات مصر ، حتى حبل الغسيل الممتد بين حائطي الحمام في بيتهم لتعلق عليه زوجته ملابس طفلته**

(١) ينظر : " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص١٠٧،١٠٨ .
(٢) " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص١٠٣،١٠٤ .
(٣) ينظر : " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٣٠٧.
(٤) ينظر : " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص٧١ .

الصغيرة ، ما فائدة أوروبا إذا كان أُناسها يستعملون نفس الأشياء التي نستعملها .

وبذلك رسم إدريس صورة توضح مدى تناقض العلاقة بين الشرق والغرب في نوع من التحديد والتخصيص ... ليوضح سخرية المجتمع الغربي من المصريين ، ومحاولة استغلالهم والاستفادة منهم في الوقت الذي ينظر فيه المصري إلى الغرب على أنه المستقبل والملاذ ، ولكنه يصطدم في – نهاية الحلم – بالواقع المر ، والحقيقة القاسية التي يفيق على آثرها .

نتيجة اللقاء بين الشرقي والغربية:

رغم أن درش وجد غايته في المرأة الكاتبة التي سافر زوجها لعدة أيام ، واصطحبته إلى بيتها ، فهو يبحث عن أوروبا المرأة ، وهي تبحث عن أفريقيا الرجل ... ولكنه لم يرَ إلا فراشه وامرأته " نوسة " معه طوال الوقت بجسده وعقله ، ولا يسمع إلا همساتها الرقيقة له ، وأصوات بائع الفول في شارع ابن خلدون ... أما الطرف الآخر الغربي وهي المرأة النمساوية فأخذت تُحَدِّق في صورة زوجها الموضوعة على المنضدة وتناولتها وقربتها منها مُصَرِحةً: أتعلم إني كنت معه ، ولم أكن أعلم أنه رجلي الأفريقي الذي كنت أبحث عنه ؛ وبذلك انكشف وهم السيدة فيينا والسيد أفريقيا معًا (١) .

لم يكن اللقاء بين (درش) الشرقي ، والمرأة النمساوية الغربية مثلما توقَّعه كل من الطرفين ؛ فإن البطل لم يستطع أن يتواصل في علاقته معها إلا حينما استحضر في مخيلته زوجته وكان يفكر في الذات الشرقية التي ينتمي إليها ، وهي كذلك لم تستطع التواصل إلا عندما استحضرت صورة زوجها ، فهي نهاية

(١) ينظر: " البحث عن اليقين المراوغ قراءة في قصص يوسف إدريس " ، فاروق عبد القادر ، ص ٢٢، دار الهلال ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، [د.ط] .

لطبيعة العلاقة بين الغرب والشرق التي قامت على أوهام كثيرة وتلاشت في لحظة المواجهة الحقيقية (١).

فقد فشل كل منهما في علاقته مع الآخر ؛ " **لقد كان طول الوقت الذي مضى مع نوسة زوجته ، كان معه بجسده وعقله وكل ذرة فيه . ولولا هذا لما استطاع أن يلعب دور الرجل ، بل دور الإفريقي** " . (٢) ، أما هي فقد أمسكت بصورة زوجها " الفريد " وقبلتها وقالت وهي تستدير عن درش في فراشها: " **لم أكن أعلم أنه رجلي الإفريقي الذي كنت أبحث عنه** " (٣) .

وقد كان السبب الرئيسي في إقبال المرأة النمساوية عليه أنها صرّحت له قائلة: " **الحقيقة أننا هنا في الغرب نسمع عن الشرق كثيرًا ، وعن غموضه ورجاله وسحره ، وطالما داعب خيالي الأمير الشرقي الأسمر ، داعب خيالي وأنا بنت مراهقة ، وحتى وأنا متزوجة وأم ، وحين رأيتك خُيل إليَّ أني عثرت عليه وأنها فرصة العمر** " (٤).

فالشخصية الغربية – أيضًا – تكاد تكون مهووسة وتحاول التعرف على الشرق بسحره وجماله .

وفي النهاية يتلخص اللقاء في أنه جاء درش للبحث عن الأميرة الأوربية التي يحلم بها ويتخيل أنها هي الأخرى تبحث عن الشرق ورجولته وأميرها الشرقي ، ولكن ازداد حقده ونفوره من الآخر عندما وجد الإيجابية الزائدة التي لم يكن يعتاد عليها في بلده ؛ فقد ضاق درش الفتى الشرقي بهذه الأوروبية ؛ ألا تتمنع قليلًا ؟ إن التمنع يضفي على الأنثى أنوثة ، ويُكسِب الرجل رجولة ،

(١) ينظر : " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٩٥ .

(٢) " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص١٢٧ .

(٣) المرجع نفسه ، ص١٣٠ .

(٤) المرجع نفسه ، ص١١٣ .

وإيجابيتها الزائدة عن الحد تضفي على أنوثتها رجولة ، وعلى رجولته سلبية الأنثى [١] .

سبب فشل العلاقة[٢] : قام إدريس بعرض صورتين مختلفتين حول رؤية الآخر ، صورة تَظهر على سطح المجتمع وتسمى صورة السطح (الذات) ، و صورة أخرى تظهر في قاع المجتمع والريف والمدينة والقرية ، وتسمى هذه الصورة بصورة العمق .

- **صورة السطح (الذات):** تعني النظرة الداخلية والوصف الكلي للفرد لذاته أو الجماعة لذاتها ، من خلال مجموعة من السمات الاجتماعية والنفسية والعقلية والبدنية والسلوكية والانفعالية .

وقد قدمها إدريس في هذه الرواية ، وجاءت في عدة مواضع ؛ فقدَّم صورة الشعب المصري ، ثم عرَض الصورة النوعية للطبقة البرجوازية الجديدة التي قامت مع الثورة ، والتي تمثل فئة الموظفين الذين استفادوا من فرص التعليم والترقي في الوظائف العامة ، فقاموا بتغليب مصالحهم الخاصة ، ورسم صورة المعترف بالجميل للثورة على ما فعلته لهم . وقد جمع يوسف إدريس الخصائص المميزة لصورة السطح الخاصة بالشخصية المصرية ، ووصفها ليستنتج من خلال انفعالاتها وملامحها العلاقة التي تجمع بين الأنا والآخر ، ونظرة كل من المجتمع الشرقي إلى المجتمع الغربي والعكس ، وأكَّد يوسف إدريس في الرواية على سيادة صورة السطح في تعاملنا مع الآخر ، وأنّ فشل درش مع المرأة الأوروبية هو دليل على عجزنا عن التواصل مع هذه الحضارة الغربية .

- **صورة العمق:** وهي النظرة الخارجية للمجتمع ، ونظرة الشرقي تجاه الآخر الغربي ، وهي تلك النظرة المعاكسة والمتناقضة التي نتجت عن تطلع

(١) ينظر : " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٣٠٩ .

(٢) ينظر: " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٨٥ .

صورة السطح إلى معرفة كل ما هو غريب وجديد واكتشافه ؛ فالمصري يتجول في شوارع تلك المدينة الغريبة باحثًا عن غرضه المنشود .

والعلاقة الناتجة عن اندماج صورة السطح مع المرأة الأوروبية هي علاقة عكسية وتناقضية من عدة اتجاهات وزوايا ؛ ففي علاقته مع المرأة النمساوية الجريئة ، وبين صورة الطفل المصري والآخر الأوروبي يقول: " **فالطفلة كانت كبيرة ، حجمها يوازي حجم ابنته ذات العام ونصف عام ... عجيب أمر هؤلاء الناس! أبناؤهم دائمًا أصحاء أقوياء ملظلظون ، وأبناؤنا يعانون دومًا من المغص والإسهال وعشرات اللفف والعيون الحاسدة** " . فهو رجل شرقي أفريقي ، وهي امرأة غربية أوروبية ، كِلاهُما مُتَزَوِج ، كلاهما موظف ، وكلاهما قد طال غيابه عن زوجه ورفيقه ، وكلاهما يُحاوِل أن ينال الآخر ، ويبذل شتى الطرق للوصول لهدفه [١] .

ولذلك كانت نتيجة العلاقة بينهما أنه " **غضب درش في بداية الأمر ولكنه عاوده الحنين لبلده وزوجته وبنته وشقته المتواضعة التي يسكن فيها ، فوجد نفسه يفكر في (ننوسته ، وسنسنته ، ونوسته) تلك الأسماء التي ابتكرها لها ، وفي وقفتها بالمطبخ حين يأتي ويحتضنها بالخلف وتشعر أنه الرجل الوحيد في العالم وأنها المرأة الوحيدة التي تصلح له ، فيشعر أنه كان معها بقلبه وجسده وعقله طوال الوقت حتى يخرج من الأزمة بسرعة ويطمئن نفسه أنه لم يقم بخيانتها ولم يخل بوعده إليها** [٢] .

---

(١) ينظر : " يوسف إدريس ... الصراع والمواجهة " ، حسين عيد ، ص١٧٥ .

(٢) ينظر : " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص١٢٥ .

رابعًا- البناء الفني لرواية فيينا٦٠:

تختلف الرواية في بنائها الفني عن غيرها من روايات يوسف إدريس ؛ يتضح ذلك – على سبيل المثال – حين يتم حصر شخوص الرواية ؛ حيث اعتمد إدريس في الرواية على البطل مصطفى والمرأة النمساوية الغربية ، التي لم يُصَرّح باسمها طوال الرواية ، يُضاف إليهما بعض الشخوص ، من هؤلاء: الجنود ، وزوجة مصطفى وابنته ، وزوج المرأة النمساوية وأولادهما .

أما **العنوان الروائي** فيختزل عند يوسف إدريس جوهر النص ؛ عبر الإيحاء والتمثيل والتكثيف ؛ بكونه قيمة جمالية وفكرية ؛ إذ يمثل المفتاح الإجرائي الذي يمدُّنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص ، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره وتشعباته الوعرة (١) .

وتُعَدّ رواية " فيينا٦٠ " من الروايات ذات العنوان الفضائي ؛ حيث تجمع بين الزمان والمكان في آنٍ واحد ، ويختزل عنوان " فيينا٦٠ " أوروبا في المدينة النمساوية فيينا ، ويختصر فيينا في امرأة ، ويكوِّر هذه المرأة في جسدها ، وبالتحديد في الرغبة الجنسية ... مثلما يختزل المهمة الرسمية للموظف الحكومي " درش " بطل الرواية في مغامرة جنسية مع امرأة أوروبية ، مستلهمًا هذه الفكرة من أصداء الأغنية الشهيرة " ليالي الأنس في فيينا " (٢) ، امتثالًا لنصيحة أقرانه في العمل " **إذا أردت النساء يا أخ فاذهب إلى فيينا** " .

وقد تمّ تعديل اسم الرواية مع الاحتفاظ باسم المدينة ؛ للمقابَلة بين طبيعة الشخصية الرئيسية وتفكيرها في تلك الفترة الزمنية من الستينات (من السيدة فيينا إلى فيينا ٦٠) .

---

(١) ينظر: " البناء السردي في روايات يوسف إدريس " ، مجدي تهامي عفيفي ، ص١٨،١٧ ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر ، ٢٠١٣م .

(٢) ينظر: المرجع نفسه ، ص٢٩ .

حيث قام الكاتب بكناية الفتاة الأوروبية باسم السيدة فيينا على اسم المدينة ، والدلالة من عدم التصريح بالاسم هو أنهما لا ينظران لبعضهما كأفراد إنما كحضارات ، وإعطاء الشاب المصري وهو الشخصية الرئيسية لقب " درش " ليعبر عن الثقافة الشرقية المصرية ؛ حيث ركز على اللقب ليكون بمثابة الحرية (١) .

وبذلك قَدَّم إدريس الشخصية الرئيسية مع التصريح باسمها للدلالة على الموروث الثقافي الشرقي ، وفي الجهة المقابلة لم يصرِّح بالشخصية الأوروبية ، واكتفى بذكر المدينة ؛ وذلك للدلالة على الموروث الثقافي الغربي .

وتميز إدريس عن غيره بارتباط الجنس عنده بالسياسة ، فكل منهما يُكمِل الآخر... فقد وظَّف إدريس " الجنس " في الإشارة إلى مفاهيم الحضارة عندنا في الشرق وعندهم في الغرب في فهمنا للذات الغربية ، وفهمهم للذات العربية ، في أسلوب تنشئتهم لأطفالهم ، وأسلوب تنشئتنا لأطفالنا ؛في أخلاقياتنا وأخلاقياتهم (٢).

وفي الرواية بدا عامل الاستعداد أو الإقناع النفسي عنصرًا جوهريًا حتى يستطيع الرجل ممارسة الجنس مع المرأة ؛ حيث نجح مصطفى حين أقنع نفسه أنه يمارس الجنس مع زوجته ، وبالمثل فعلت الزوجة الأجنبية (٣).

أما **بنية الزمن** في الرواية فتتشكَّل من عدة استرجاعات مختلفة المدى والسعة ؛ إذ تبدأ الرواية باسترجاع صريح يقوم به السارد ليتذكر (درش) ومغامراته في فيينا " **أكاد الآن أتصور مصطفى ، أو (درش) كما كنا نسميه ، وهو واقف وقفته المشهورة في ذلك الميدان ... وأن فيينا هذه هي عاصمة النمسا،والأهم أن له فيها يومين بليلتين خمسة جنيهات أجرًا للفندق،بلا فائدة** " .

---

(١) ينظر: " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٩٣.

(٢) " روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) " ، نوال زين الدين ، ص٣١١.

(٣) ينظر : " يوسف إدريس ... الصراع والمواجهة " ، حسين عيد ، ص١٧٧ .

" كما أن الرواية تعتمد على تقنية الاسترجاع لتضيء جوانب معينة فيها ؛ فدرش يعود بمخيلته إلى القاهرة ، ويسترجع شكل بيته وزوجته وهذا استرجاع قصير الأمد ... ولم يستطع أن يكمل مضاجعته للسيدة النمساوية إلا حين أغلق عينه وتخيل زوجته ، ثم عندما دخل الحمام ورأى حبل الغسيل ، فاسترجع بلمحة ما خلفه في الوطن ... وحينما يلتقي بالسيدة النمساوية يعمل الاسترجاع على توضيح تصور ابن الغرب للإنسان الشرقي في بعض جوانبه ... وبذلك ينقل هذا الاسترجاع حالة من التشابه بين الطرفين: درش الشرقي الذي يحلم بالمرأة الغربية ويرى فيها التحرر من كل القيود ، والسيدة التي ترى فيه السحر القادم من ليالي ألف ليلة وليلة ، وهذا الشعور المتبادَل يختصر العلاقات الجنسية، والكثير من النظرات التي يكنها كلا الطرفين (الغرب والشرق) للآخر (١) .

أما عن الاستباق الزمني في الرواية فيلجأ إليه يوسف إدريس تمهيدًا للإعلان عن الأحداث التي سيشهدها السرد لاحقًا ، وهو يؤدي دورًا في تشكيل بنية الزمن الروائي وذلك بامتزاج البنية السردية مع البنية الحكائية ، ففي الرواية يقدم يوسف إدريس استشرافًا لطبيعة العلاقة بين الشرق والغرب حينما يقوم درش بضم السيدة النمساوية وتقبيلها وهي تتأوه فتقول: (**ستكسر ظهري يا إفريقي**) (٢) وهذا يعني أنَّ إدريس يُقَدِّم توطئة مسبقة لتوضيح نظرة كلٍ من الطرفين للآخر.

لم يُحدد إدريس الفترة الزمنية الدقيقة التي تُمَكِّن القارئ من تحديد زمن القصة ؛ ولكن عنوان الرواية يوضح الفترة العامة التي تدور فيها أحداث الرواية وهي فترة (الستين) بفيينا ؛ وهو يُعدّ الزمن العام لأحداث الرواية ، أما الزمن الخاص الذي ظهر في متن الرواية التي تشير إلى الشخصية الرئيسية وهي

---

(١) ينظر: " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٢١،٢٢ .

(٢) ينظر : " التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، ص٢٦ .

(الموظف المصري " مصطفى") الوافد من قِبل وزارة التجارة إلى أوروبا لمهمة رسمية ، وكيف قضى مدة لإتمام عملية السفر (١) .

وظل أكثر من ستة شهور يكافح ليوفَد دونًا عن بقية زملائه في تلك المهمة الرسمية الخاصة بالتبادل التجاري مع هولندا " (٢) .

الخاتمة:

أراد يوسف إدريس من خلال هذه الرواية أن يوضح رؤيته الخاصة وموقفه من حضارة الغرب والعالم الخارجي المتواري خلف الأقنعة الزائفة ، وأن يناقش قضية الصراع الحضاري القائم بين ثقافتين مختلفتين (الشرق ، والغرب) .

وهي من روايات المواجهة الحضارية والتي ارتبطت بالغرب (الآخر) ارتباطًا مباشرًا ؛ حيث يفسر الصراع القائم بين (حضارة الشرق العريق) و(حضارة الغرب الاستعماري) .

وقد هدفت الرواية إلى الكشف عن رؤية الذات للغرب الأوروبي بأبعاده المختلفة ، وحضور الغرب حضورًا كبيرًا حتى أصبح جزءًا من الذات ، ومن خلاله انكشفت طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب تلك العلاقة التي كانت موضع اهتمام إدريس .

ومفاد الرواية أن أي حضارة لا يمكن أن تحقق ذاتها في مواجهة الآخر ســـــوى بالقبول الكامل للذات ، وهذا ما وضحه إدريس من خلال شخصيتي الرواية: درش والمرأة النمساوية) ؛ حيث إنّ كلًا منهما صرح أنه كان مع نصفه الآخر .

---

(١) ينظر : المرجع نفسه ، ص٤١ .

(٢) " نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ " ، يوسف إدريس ، ص٦١ .

قائمة المصادر والمراجع:

١- البحث عن اليقين المراوغ قراءة في قصص يوسف إدريس ، فاروق عبد القادر ، دار الهلال ، القاهرة ، ٢٠٠٦م ، [د.ط].

٢- البطل المغترب في الرواية العربية ، مصطفى فاسي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠٦م .

٣- البناء السردي في روايات يوسف إدريس " ، مجدي تهامي عفيفي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، مصر ، ٢٠١٣م .

٤- التجربة الروائية عند يوسف إدريس " ، ميسون محمود نايل شياب ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، الأردن ، ٢٠٠٨م .

٥- ذكريات يوسف إدريس ، رشاد كامل ، ط١، المركز المصري العربي للنشر، القاهرة ، ١٩٩١م .

٦- روايات يوسف إدريس (دراسة بنيوية توليدية) ، نوال زين الدين ، دار قباء للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠٠٣م [د.ط] .

٧- رؤية المكان في روايات يوسف السباعي دراسة أدبية فنية ، رضا السيد العشماوي ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، مصر ، ٢٠١٠م .

٨- شخصية البطل في روايات يوسف إدريس دراسة أدبية فنية ، عبد المنعم أبو زيد عبد المنعم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ، ١٩٩٥م .

٩- شرق وغرب رجولة وأنوثة (دراسة في أزمة الجنس والحضارة في الرواية العربية) ، جورج طرابيشي ، ط٤، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت ، ١٩٩٧م .

١٠- الصراع بين الشرق والغرب في الرواية المصرية الحديثة ، حسن بن مالك ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة عين شمس ، ١٩٨٩-١٩٩٠م .

١١- صورة الذات وصورة الآخر في آخر أعمال يحيى الطاهر عبد الله الروائية ، شاكر عبد الحميد ، دار الثقافة الجديدة، مصر ، ١٩٨٦م [د.ط] .
١٢- الغرب في الرواية العربية الحديثة ، جمال مباركي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .
١٣- الغرب في الرواية العربية الحديثة ، جمال مباركي ، رسالة دكتوراه ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة العقيد الحاج لخضر باتنة ، الجزائر ، ٢٠٠٩م .
١٤- المرأة في روايات سحر خليفة ، غدير رضوان طوطح ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الآداب ، جامعة بيرزيت، فلسطين ، ٢٠٠٦.
١٥- موسم الهجرة إلى الشمال ، الطيب صالح ، ط١٣ ، دار العودة ، بيروت ، ١٩٨١م .
١٦- نيويورك ٨٠ وفيينا ٦٠ ، يوسف إدريس ، ط٢ ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، القاهرة ، ٢٠١٠م .
١٧- يوسف إدريس ... الصراع والمواجهة ، حسين عيد ، الهيئة العامة للثقافة ، القاهرة ، [د.ط.ت] .